النشاط الثقافي في الغرب

فرنسا

الادب وقضية الجزائر

من الطبيعي ان تثير قضية السياسة الفرنسية في المغرب العربي اهتمام الاوساط الفكرية والادبية ، فان الادب مدعو اليوم ، اكثر من اي يوم سابق ، الى المشاركة في بحث كل قضية تتناول حياة الشعوب وظروفها .

وقد اهتمت الصحف الفرنسية الادبية، الاسبوعية منها والشهرية ، بقضايا المغرب، ولا سيما قضية الجزائر التي اتخذت تطورات هامةفي الاشهر الاخيرة ، فتساءل عدد من الكتاب والادباء عن شرعية الوجود الفرنسي في افريقيا الشمالية وثارت حول ذلك مناقشات عديدة .

ولا شك في ان اهم الارجاع التي ظهرت في هذه الفترة، بيانان جريئان اصدرهما عدد كبير من المفكرين الفرنسيين المعروفين بالجرأة وحرية الفكر وتأييد الحقوق الانسانية . وقد وقع البيان الاول بضعة عشر اديباً اشهرهم المستشرق المعروف لويس ماسينيون Massignon وجان سل J.Scelle واندريه دو بيريتي A. De Pirretti ، وفيه يطالبون الحكومة الفرنسية بان تفي بوعودها المقطوعة للجزائر عام ١٨٣٠ و ١٩٤٣ و ١٩٤٧ بمنحها الاستقلال والحرية . واصدرت « لجنة العمل ضد متابعة الحرب » بياناً هاماً يطالب بعودة المجندين الفرنسيين من افريقيا الشمالية ، وقد وقعه اكثر من سبعين كاتباً واديباً على رأسهم فرنسوا مورياك وجان بول سارتر وروجيه مارتان دوغار وجورج باتاي واندريه بريتون وجان كاسو .

اما الادباء الجزائريون انفسهم ، فمعظمهم قد كتب باللغة الفرنسية يهاجم الاستعمار الفرنسي هناك . ولكن موقف الكاتب المعروف البير كامو ، هذا الموقف المترجرج الذي فقد فيه الكاتب حريته الفكرية بسبب الضغط السياسي ، فانه قد احدث خيبة كبيرة ولا سيما بين مثقفي الجزائر الذين كانوا ينتظرون من كامو ان ينسجم مع مبادئه الفكرية وعقيدته في الحرية الانسانية .

وقد اصدرت بعض دور النشر الفرنسية في الاشهر الاخيرة بعض الكتب الفرنسية التي الفها ادباء جزائريون عرب تناولوا فيها قضايا البلاد. واهم كتابين صدرا هما رواية « الاكباش Les Boucs بقلم دريس الشريبي Driss Chraibi وفيها يتحدث عن هؤلاء الثلاثمئة الف من سكان افريقيا الشمالية الذين وصلوا الى فرنسا وكلهم امل وثقة بانهم سيفلتون من طوق الفاقة والعوز ، فلما قضوا ردحاً من الزمن وجدوا انفسهم عزلا من كل شيء ، حتى من هوياتهم ، وواجه بعضهم رفض السجون لايوائهم ، كما ان بعضهم الآخر وجدوا المستشفيات مغلقة دونهم . وقد وصف الناقد المعروف اندريه روسو هذا الكتاب بانه « يأخذ بخناق القارىء ».

واصدرت دار « غاليمار » الباريسية الكبرى مجموعة قصص بعنوان « في المقهى » Au Café للكاتب الجزائري العربي محمد ديب ضمنها عدداً من القصص الرائعة التي تمثل الحياة في الجزائر تمثيلاً صحيحا . وقصته«في المقهى» نفسها تحاول ان تثبت ان احتلال الفرنسيين للجزائر هو طغيان وحشي واغتصاب ظالم ، وان حق الانتخاب الذي منح للمواطنين هو حق زائف لانه لا يمارس الا تحت الضغط البوليسي والاكراه .

رواية ... وجائزة !

بالرغم من ان تكريس كتاب من الكتب باحدى الجوائز الادبية يعطي القارىء ضمانة بانه اذا قرأ ذلك الكتاب فلن يضيع وقته ، فان هذا المقياس لا يصح دائماً ، بل هو احيانا عرضة للشك الكبير .

ولعل اكبر دليل على ذلك رواية «أشواق القلب» Les Elans du cœur لمؤلفها فيليسيان مارسو F. Marceau . فقد منحت هذه الرواية جائزة « انترالييه » الكبرى ، وكان مؤلفها قد اختير بين الروائيين العشرة الاول في الادب الفرنسي الحديث .

على ان هذا لم يمنع النقاد الفرنسيين ، بعد ان قرأوا هذه الرواية ، ان يطرحوا علامات استفهام كبيرة عن مغزاها وقيمتها ، ولا سيما من الوجهة الاجتماعية . والحق اننا اذا استعرضنا احداث هذه الرواية ، رأينا انفسنا امام خليط من المغامرات التي قد نتابعها ببعض المتعة ولكننا لا نخرج منها بزبدة . والرواية تدور حول فتاة تدعى دانيس كانت تعمل لدى بائع اشياء قديمة راودها عن نفسها فقبلت ، وحينذاك بدأت الهموم والمشاكل . فقد عرفت زوجة البائع الحقيقة فشكت الفتاة الى ابيها الذي اضطر الى ان يحجر عليها بعد ان ذهبت نصائحه سدى . وظلت دانيس شهراً بطوله محجوراً عليهافي غرفتها،الى ان خلصها ثلاثة شبان رومانتيكيين في اثناء غارة ليلية على المنزل . وحدث ان احد هؤلاء سقط بعد ذلك في حبها بينما عاودت البائع القديم رغبته فيها ،وانتهى الامر بدانيس ، وقد بدأت تمل « المغامرة » الى ان عادت تحجر نفسها في غرفتها ، برضى منها هذه المرة ...

هذا هو ملخص الرواية التي نالت الجائزة .. والظاهر ان اللجنة المحكمة لم تنظر الا الى قدرة المؤلف على الحبك الروائي : وتجاهلت ان القارىء سينسى الرواية بعد ساعات من قراءتها لانها لم تعالج مشكلة هامة من مشاكل الحياة المعاصرة ..

دراسة عن جلال الدين

نشرت مجلة « دفاتر الجنوب » Cahiers du Sud في عددها ٣٣٠ دراسة طويلة هامة خصت بها الشاعر والراقص الصوفي جلال الدين الرومي . وقد كتب هذه الدراسة بيار روبين P. Robin فتحدث عن ذلك الصوفي الذي سمى الى الله بالموسيقى والرقص ، وكان في ذلك نسيج وحده بين المتصوفة. وذكر الكاتب كيف ان جلال الدين ، بعد مولده عام ١٢٠٧ في بلخ من اعمال فارس ، تاه من مدينة الى مدينة ، محاولاً ان يكون « حكاية تكون ذكراها جميلة ، لاننا لسنا الا حكايات » وقد كان جلال تملاً بالله ، فاذا

هو يطرح كل عبادة تقليدية ويعيش حياته كما يفهمها، محباً للفقر، حميم الصداقة للمساكين المتواضعين، ودوداً مع الشجر والحيوان والزهور. ولقد تقبل جلال الدين، صاحب التفكير الصافي، الموت بفرح عظيم، بل هو كان يرتعش من شدة السرور. وذكر الكاتب انه ترك مجموعتين من الشعر جددا موضوعات الصوفية.

وقد ترجم بيار روبين، بعد هذه الدراسة، اربع عشرة مقطوعة رائعة لجلال الدين ترجمها عن الترجمة الانكليزية التي قام بها نيكولسون من قبل.

اشتات ادبية

● كتب غابرييل مارسيل في مقالته الاسبوعية التي يستعرض فيها المسرحيات الفرنسية الجديدة (وذلك في مجلة «لينوفيل ليتريز») ينتقد الكاتب المسرحي الكبير جان انوي بمناسبة عرض مسرحيته الجديدة «نزاع اورنيفل» La Querelle d'Ornifle فقال «ان انوي قد بلغ مرحلة حرجة جداً من حياته الادبية، وان فرصته الوحيدة للخروج من هذه الازمة هي ان يولي ظهره للجمهور، هذا الجمهور الذي يراعيه دائماً ويتملقه، فيقبل على مسرحياته اقبالاً شديداً. ولكن هنا بالذات يكمن الخطر!»

● انشغلت المحاكم الفرنسية في الشهر الماضي بعدد من الدعاوى الادبية كان اهمها الدعوى التي قدمها الاديب المعروف بول ليوتو على احدى دور النشر لانها اضاعت له قسماً من مخطوطة كانت تتولى طبعها، وقد حكمت المحكمة للكاتب بمبلغ خمسمئة الف فرنك عطلا وضرراً.

انكلترا

«نكاراسوف» سارتر في لندن

اذا ذكرنا ان باريس كانت المسرح الذي مثلت عليه رواية «نكاراسوف» وان سارتر كان هو كاتبها، وان منحاه فيها كان غريباً عن المألوف في انتاجه، استطعنا ان نستدعي لمخيلتنا واحدة من امهات الضجات التي تثيرها باريس بين حين وحين. ولتركيز الصورة في المخيلة نضيف عاملاً رابعاً فنقول ان «نكاراسوف» هجوم، وهجوم عنيف، على ديمقراطية الغرب وخرافة الحرية الرأسمالية، وبقاء صحافتها وصحفييها. وفي الفقرة الاخيرة نجد سر الداء، داء تلك الضجة.

يرفع الستار عن مشهد بارع في الحبك والجمال على رصيف من الارصفة المألوفة على ضفاف السين: «جورج دي فاليرا» نصاب هارب من العدالة يحاول الانتحار غرقاً فيمزع عليه حتى الموت. وينجو من هذا وينجو من يد الشرطة ليجد نفسه في غرفة فتاة صحفية تقدمية، تعرض عليه كل المساعدة والضيافة فيرفضها ويؤثر عليها والدها الصحفي محرر «لسوار أباريس» اليمينية لسبب بسيط هو انه يستطيع ان يفهم لغته ويتعامل معه. وذلك ما يفعل بالذات. ملكان من ملوك النصب والخداع في ورطة. دي فاليرا تتعقبه الشرطة، والصحفي ينذره المحرر بانه اذا لم يبتدع اروع فضيحة ضد الشيوعيين لدحرهم في معركة انتخابية موشكة فانه سيفقد عمله. وبعد عشرة ايام في جهاد مر في خلق انواع الفضائح والتهم ألفى صاحبنا نفسه وقد استنفد جعبته: قصة ستالين في صور... كلا، انعدام التأمين في روسيا.. كلا، مجاعة في الاكرين... نعم... بل لا في علاقتها باقناع الناخبين بضرورة تسليح المانيا..؟ وهنا يأتي دي فاليرا كملاك منقذ، ولكن من اعماق السجون.

في اليوم التالي يختفي دي فاليرا ليظهر نكاراسوف الوزير السوفياتي الهارب من الجحيم الى نعيم العالم الحر! انواع من التصريحات، برقيات من التهاني، قوائم بالعملاء والجواسيس، تفصيلات المؤامرات، نسف المدن والقرى. نعم دي فاليرا يجيد دوره اكثر مما اجاده زميله بتروف في استراليا. ويظل يلهو في مجموحة من العيش... ولكن الى حين. ذلك الحين هو يوم يكتشف دي فاليرا في نفسه جوهر وجوده، (كمعظم نهايات الروايات السارترية) ويكتشف بأن المخدوع هو نفسه وليس الحكومة ولا الصحافة. انهم هم الذين يخدعونه! انهم يعرفون انه ليس بنكاراسوف، ولكن ماذا يهم؟ الصحيفة منتشرة والشيوعيون في السجن. وهنا يتدخل لمصلحة اثنين من هؤلاء بالتماس من صديقته القديمة فيرونيك، الصحفية التقدمية. واذا بطلبه يرفض. وهنا، بانقلاب وجودي، يسلم نفسه الى ضابط الشرطة الذي ما انفك باحثاً عن دي فاليرا النصاب ليحرر نفسه من الشرطة السرية التي ما انفكت تصرخ بتصريحات نكاراسوف عالياً. وفي الصباح كانت فيرونيك قد بكرت الى المطبعة لتنشر للعالم القصة المفتراة، قصة الوزير السوفياتي. ولكن، وقبل ان ننسى، في المساء تعود «سوار أباريس» للظهور بقصة جديدة هي قصة خطف «نكاراسوف» من قبل العملاء السوفيات!

هذه خلاصة تقصر عن كثير من نواحي الرواية الاخرى كالنقاش الفلسفي، والتهكم القاسي، والدعاية الممتعة. بعد ذلك يتضح لنا سبب، أو بعض من سبب، السخط الذي جابهها به كثير من النقاد. السخط الذي اضطر بعضهم الى ترك المسرح لائذاً بصحيفته ليصب من قلمه كل دفاعه فيعيد لنا تمثيل «نكاراسوف» اخرى على صحيفته، ولكن على حساب سارتر هذه المرة. بينما تسمر نقاد آخرون في كراسيهم حتى اذا اسدل الستار راحوا يدمون ايديهم تصفيقاً وتهليلاً.

الخلاف حول هذه المسرحية مبناه الطفرة التي وثبها سارتر في عمله. فنكاراسوف جديدة بالنسبة لسارتر في موضوعها واسلوبها. اما موضوعاً فقد كانت المسرحية قطعة من الدعاية. وهذه وان كانت غير جديدة لسارتر وهو الملتزم في ادبه، قد جاءت هنا دعاية خالصة وصارخة، ليس من نوع اللمح الموحي كما في «الذباب». هذه الدعاية بلغت حداً من الآنية والخبرية (من نوع اشارات الى دالس ومكارثي وستالين) يجعلنا نتساءل هل سيكتب لهذه الرواية نوع من البقاء؟ صحيح ان مكارثي ودالس سيصبحان نسياً بعد بضع سنين، ولكن هل يأكل النسيان ايضاً هذا الزيف الصحفي والخداع السياسي؟ هذا ما سيحكم عليه التاريخ.

المشكلة الاخرى التي وقع بها سارتر هو ان مضيه في عنصر الدعاية أفقد

شخصياته ابعادها الثلاثة واحالها ضرباً من الورق المقصوص لا تخرج عن كونها السنة حال فقدت كل آدميتها وحيويتها . وهي نقطة تجمعنا الى برنارد شو كما انجر اليها اكثر النقاد . صحيح ان شو اضطلع بنفس الرسالة ولكن شخصياته كانت اعمق غوراً واصدق حواراً ومن ثم اقرب الى الحياة . اما سارتر فكأنه قصد الى خطابة سياسية على ابواب معركة انتخابية . ولم نقول «فكأنه» ؟ ربما كان هذا بالذات موضع نظره فأمعن في جعلها ضربة آنية ، وهو في ذلك انما يؤكد عقيدته : « المسؤولية والصدق اولاً والاسلوب والجمالية في المحل الثاني .»

وعلى كل فهذه الرواية تبلور لنا اتجاهه السياسي منذ خطابه في مؤتمر السلام سنة ١٩٤٥ . ومن يدري فربما كان نيكراسوف هو سارتر نفسه اكتشف في اللحظة الاخيرة ان وجوده اصبح ورقة تلعب بها الرجعية الفرنسية خلافاً لما كان يحسبه من انه هو الذي كان يلعب بها ، فاذا بسارتر « الايدي القذرة » يتقدم الى فيرونيك بقصة نكراسوف ليطلع الجمهور على الحقيقة . والواقع انه منذ ١٩٥٤ هاجم الصحف التي كانت تشوه انتاجه وتجعله كتلة من الدعاية ضد الشيوعية ، وفي ١٩٥٥ فرغ من كتابة نكراسوف . فهل جاء هذا مصادفة ؟

وكانت الرواية جديدة ايضاً بالنسبة لاسلوبها . فالتهكم والكوميديا ليسا من ادوات سارتر . ولهذا فالظاهر ان نكراسوف كانت تجربة ودراسة صاحبها ما يصاحب التجربة من خلل ، وإن قل ، في الانشاء والحبك. فالرواية من ثمانية مشاهد، وكل مشهد في الحقيقة مقسوم الى بضعة مشاهد جزئية تجعل ربطها في خيط واحد من اصعب المشاكل التي تعجز كلاً من المؤلف والمخرج . ومع ذلك فهذا بالذات ما يقع فيه كل مؤلف كوميديا يعجز عن مواصلة التدفق الكوميدي بدون قطع نفس .

من الطبيعي الا تلقى مسرحية كهذه نجاحاً تجارياً يذكر . وهكذا لم يتعد عرضها بضعة اسابيع من الخريف المنصرم في باريس . اما في الانكليزية فكان نصيبها كله هو مسرح البونتي الصغير في ضاحية من لندن. ولا نحسب احداً سينوسم مصاحبتها بعبور الاطلسي مخاطراً بجواز سفره الامريكي ...

لندن — خالد القشطيني

ايطاليا

احدث الآثار الادبية

تتحدث الاوساط الادبية في هذه الايام عن عدد من الكتب الهامة . فقد صدرت اخيراً رواية جديدة بعنوان « ميتيلو » Metello للروائي المشهور فاسكو براتوليني V. Pratolini اثارت ضجة كبيرة في اوساط الادباء واختلف النقاد في تقييمها . وما يزال ادباء « اليسار المتطرف » مترددين في ابداء رأيهم حول النزعة « الالتزامية » التي تطبع الرواية. وبراتوليني معروف بميله الى الافكار الماركسية، ولكن هناك شك في ان تكون هذه الرواية « تقدمية » .

اما الكتاب الثاني فهو مجموعة من الشعر الحديث لادوارد كاكياتوري E. Cacciatore بعنوان La Reztituzione تمتاز برؤية شعرية جديدة وتضع المؤلف في صف اكبر ممثلي الشعر الايطالي المعاصر اي الى جانب اوجونيو مونتال E. Montale وسلفاتور كازيمودو S. Quasimodo وغوسات انغاريتي G. Ungaretti .

ومن اهم الكتب التي صدرت حديثاً مجموعة من خمس وسبعين اقصوصة لكورادو ألفارو C. Alvaro الذي يثبت مرة اخرى تمكنه في الادب تمكناً يجعله سيد الادب الايطالي المعاصر .

معرض الرسم والنحت

كان اهم حادث فني في الاشهر الاخيرة المعرض السابع للفنون التشكيلية الذي ضم بضعة الوف من اللوحات تعطي فكرة جامعة عن تطور الفنون الجميلة في ايطاليا ، فالى جانب آثار موديغلياني وسفيريني ودوبيسيس وكارا وسوفيتشي وسباديني ودوشيريكو وموراندي وسافينيو الذين ينتمون الى الجيل الذي شارك في خلق الكتعيبية والمستقبلية والسريالية – الى جانب هؤلاء تعرض لوحات عدد كبير من الفنانين الشبان .

ويتكشف هذا المعرض عن ان افضل فناني شبه الجزيرة الايطالية لا يدخرون وسعاً في المحافظة على الروح الفنية التي ميزت الاثار الايطالية الكلاسيكية، ولكنهم يتحررون من الشكلية الجامدة وينتجون اعمالا ترضي الذوق الفني الى حد بعيد .

السينما والمسرح

يظل المسرح هو النقطة الضعيفة في النشاط الثقافي بايطاليا . ولا تعرض الآن على المسارح الايطالية اية مسرحية جديدة تستحق الذكر . اما في روما فيشاهد الناس الآن مسرحية « جنيّات سالم » تأليف ميلر واخراج فيسكونتي ، و « بوبوس » للكاتب الفرنسي اندريه روسين ، و « قصة رجل متعب » لسارازاني ومسرحيات لبيراندللو واندرسون . وقد كتب مورافيا اخيراً مسرحية بعنوان « بياتريس سانسي » سيقدمها مسرح ميلاني عما قريب.. ويشتغل الفارو الآن بكوميديا يرجح ان تعرض في فينيسيا .

وعلى العكس ، يزدهر نشاط المنتجين والمخرجين السينمائيين . ويخرج فيتوريو دوسيكا الآن فيلماً بعنوان « السقف » يتميز بواقعية جديدة مليئة بالنزعة الانسانية . ويخرج لوشيانو ايمر Emmer الآن فيلماً هاماً بعنوان « الرجل ذو الزوجتين » ويشترك في تمثيله دوسيكا وماستروانني وفرانكا فاليري ، في حين ان انطونيو بيرنجلي ينجز فيلمه « العازب » . وقد بدا بلازيتي انتاج فيلم ايطالي فرنسي بعنوان « سعادة المرأة » ويمثله شارل بوايه وصوفيا لورين. واخيراً اقتبس لاتوادا رواية لجان هوغرون بعنوان « الشمس على الصدر » تمثل الدور الرئيسي فيه صوفيا لورين نفسها .

وكل هذا يدل على ان السينما الايطالية ما تزال جادة في المحافظة على مركزها الممتاز في الصناعة السينمائية العالمية .